جدلية الطبع والصنعة في النقد العربى القديم

د . فتحى عبد المحسن محمد
مدرس الأدب والنقد – كلية التربية
جامعة عين شمس

تأتى قضية الطبع والصنعة أو التكلف ضمن سياق الخصومة التى دارت بين النقاد القدامى حول شعر القدماء وشعر المحدثين فى العصر العباسى ، وكان لها أثرها فى الانتقاء والتفضيل ، بل إن ما دفع كثيرا من النقاد المحافظين إلى تفضيل الشعر القديم على الشعر المحدث ، هو اعتقادهم بأن هذا النوع من الشعر يتسم بالطبع ، أما النوع الآخر فإنه يتسم بالتكلف(١) .

وتتردد الكلمات الثلاث الطبع والصنعة والتكلف بصورة لافتة فى ثنايا كلام النقاد القدامى أثناء تناولهم للشعر وتقييم الشعراء والموازنة بينهم ، ونحس بشيء من الاضطراب والخلط بين مفاهيم هذه الكلمات – خصوصًا – بين كلمتى صنعة وتكلف ، وإن كانتا تترددان بمعنى واحد فى كثير من المواقف ، كما أن كلمة صنعة وصناعة تختلفان فى كثير من معانيهما عن كلمة تكلف ، وكلمة صناعة تفارق أيضا فى معناها كلمة صنعة ، يقول ابن سلام : "وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات "(٢) ، والجاحظ يشير إلى مثل ذلك فى قوله : " إنما الشعر صناعة ، وضرب من النسيج ، وجنس من التصوير(٣) . بل إن

---

(١) انظر الخصومة بين القدماء والمحدثين فى النقد العربى القديم ، تاريخها ، وقضاياها ، د . عثمان موافى ، ص ١٧٣ ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٤ م .

(٢) طبقات فحول الشعراء ، جـ١ ، ص٥ ، قرأه وشرحه ت محمود محمد شاكر ، ط دار المدنى ، ١٩٧٤ م .

(٣) الحيوان جـ٣ ، ص١٣٢ ، ت عبد السلام هارون ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر ٢٠٠٢ م .

الكلام شعره ونثره صناعة(١) ، فكل عمل أدبى صناعة يتطلب من صاحبه الإتقان والتجويد(٢) ، ويتطلب منه كذلك أن يمتلك الأدوات والوسائل التى تعينه على ذلك(٣) ، وإن كانت كلمة صنعة تأتى مرادفة لكلمة صناعة فى بعض الأحيان(٤) ، مما يشير إلى أهمية السياق الذى ترد فيه ، فهو الذى يحدد ما تدل عليه الكلمة ، على أن معنى الصنعة لدى كثير من النقاد يختلف عن معنى الصناعة ، فمن معانى الصنعة لديهم العيب والنقصان فى العمل الأدبى ، يجب على المبدع أن يتخلص منه ، قال أبو هلال : " فالصنعة النقصان عن غاية الجودة ، والقصور عن حد الإحسان "(٥) ، ثم يشير إلى قصة النابغة عندما دخل يثرب ، وسمع قصيدته التى أولها :

* أمِن آل ميَّة رائحٌ أو مُغتدى *

مغناة ، وكان يقوى فيها :

* عَنَمٌ يكادُ منَ اللطافة يُعقدُ *

وعرف أنه عيب خرج وهو يقول : " دخلت يثرب ، فوجدت فى شعرى صنعة فخرجت منها وأنا أشعر العرب ، أى وجدت نقصانا عن غاية التمام"(٦) ومن معانى الصنعة ارتباطها بالمحسنات البديعية ، ومغالاة الشاعر فى استخدامها ، إذ يكون همه الأول أن يملأ شعره بالصنعة والزخارف يتلمسها طوعا وكرها ولا يبالى أن

---

(١) انظر الصناعتين ، الكتابة والشعر لأبى هلال العسكرى ، ص١٥ ، ت على محمد البجاوى ، ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر العربى ، الطبعة الثانية ، حينما يشير إلى الشعراء والكتاب بصناع الكلام " وإنما قصدت فيه مقصد صناع الكلام من الشعراء والكتاب " .

(٢) إلى مثل هذا أشار قدامة فى قوله : " ولما كانت للشعر صناعة ، وكان الغرض فى كل صناعة إجراء ما يصنع ويعمل بها على غاية التجويد والكمال ... " نقد الشعر ، ص١٨ ، ت كمال مصطفى مكتبة الخانجى ، الطبعة الثالثة .

(٣) تشير عبارة ابن سلام السابقة إلى ما يحتاج إليه ناقد الشعر من ثقافة وخبرة بكل المعارف التى تتصل بصناعة الشعر حتى يكون قادرا على تمييز صحيحه من زائفه ، جيده من رديئه.

(٤) مثل قول ابن قتيبة عن شعر الخليل بن أحمد : " هذا شعر بين التكلف ، ردئ الصنعة " أى الصناعة . الشعر والشعراء ، جـ١ ، ص٧٠ ، ت أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ١٩٩٦م . وأيضا " إحكام صنعة الكلام " أى صناعته للكلاعى الندلسى ، ت محمد رضوان الداية ، دار الثقافة بيروت (د.ت) .

(٥) الصناعتين ، ص ٥٠ .

(٦) المصدر السابق ، ص٥١ .

يكون المعنى غامضا أو تافها، قريبا أو بعيدا ، شريفا ذا قيمة أو لا قيمة له(١)، من مثل قول أبى تمام :

ذهبتِ بمُذهبه السماحةُ فالتوت
فيه الظنون أمذهبٌ أم مُذهَبُ(٢)

قال عبد القاهر : " لم يزدك - بمذهب ، ومُذهب - على أن أسمعك حروفا مكررة ، تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولة منكرة "(٣) . وفى موضع آخر يشير إلى أن البيت مما يصنعه المتكلفون فى الأسجاع (٤) . كذلك لم يقبل شعر أبى تمام لدى بعض النقاد من اللغويين من مثل ابن الأعرابى لما عرف عنه من صنعة ، فقد روى عن أبى بكر الصولى قوله : كان ابن الأعرابي يأمر بكتب جميع ما يجرى فى مجلسه ، فأنشده رجل يوما أرجوزة أبى تمام فى وصف السحاب على أنها لبعض العرب :

ساريةٌ لم تكتحِل بغمْض كدْراء ذاتُ هطلان محْض
مُوفرةٌ منْ خُلَةٍ وحِمْض تمضى وتبقى نعمًا لا تَمْضى
قضَتْ بها السماء حقّ الأرْض

فقال ابن الأعرابى : اكتبوها ، فلما كتبوها قيل له : إنها لحبيب ابن أوس ، فقال : خرق ، خرق ، لا جرم أن أثر الصنعة بين فيها(٥) .

أما كلمة مصنوع فتأتى . بمعنى الكلام المنحول أى المحمول على غير صاحبه ، مثلما ورد عن سيبويه فى بيت من الشعر : " قال وهو مصنوع على طرفة ، وهو لبعض العباديين "(٦) . أى محمول على طرفة والأمثلة المشابهة عديدة ، فقد روى أن خلفا الأحمر كان

---

(١) انظر أسس النقد الأدبى عند العرب ، د/ أحمد أحمد بدوى ، ص٤٨٨ نهضة مصر ١٩٩٦م .

(٢) انظر الديوان بشرح الخطيب التبريزى ، جـ١ ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، ت محمد عبده عزام ، دار المعارف الطبعة الخامسة ، وفى شرح البيت أقوال كثيرة .

(٣) أسرار البلاغة ص٧ ، قراءة وتعليق محمود شاكر ، مطبعة المدنى بالقاهرة ، ودار المدنى بجدة ، طبعة أولى ، ١٩٩١ م .

(٤) دلائل الإعجاز ، ص ٥٢٣ ، قراءة وتعليق محمود شاكر ، مطبعة المدنى بالقاهرة ، ودار المدنى بجدة ، طبعة ثالثة ١٩٩٢ م .

(٥) الصناعتين ، ص ٥١ .

(٦) انظر الكتاب ، جـ٢ ص٢٥٥ ، ت عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى ، ١٩٨٨م .

قد وضع على عبد القيس شعرا مصنوعا عبثا منه ثم تقرأ (أى تنسك) فرجع عن ذلك وبينه .

ومما يروى عنه أيضا قوله : أنا وضعت على النابغة هذه القصيدة التى فيها :

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غير صائمةٍ تحْت العَجاج وأخرى تَعْلِكُ اللُّجما(١)

وغير ذلك من الروايات التى تشير إلى صنع شعر وحمله على بعض الشعراء(٢) .

أما ابن سلام ، فإن كلمة المصنوع تتردد فى كتابه طبقات فحول الشعراء فى أكثر من موضع ، وهى تحمل أكثر من وجه ، ولذا نرى الأستاذ / محمود شاكر يتساءل عن المعنى الذى يقصده ابن سلام ، هل يريد ما صنعته القبائل من شعر تريد به الإكثار من الشعر المنسوب إليها ؟ أم ما صنعته يد الكذابين ؟ ، أم يريد أنه محمول على الشاعر وهو من عمل شاعر غيره (٣) .

وإذا استعرضنا المواضع التى وردت فيها كلمة مصنوع فلابد من الربط بينها وبين ما يجاورها من كلمات ترتبط بها ، ففى قوله : "وفى الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه .. "(٤) .فإن كلمة مصنوع تعنى فى الشعر الافتعال والوضع والكثرة مما أدى إلى انه لا خير فيه ، ثم يفسر ذلك : " ولا حجة فى عربية ، ولا أدب يستفاد ، ولا معنى يستخرج ، ولا مثل يضرب ، ولا مديح رائع ولا هجاء مقذع ، ولا فخر معجب ..."(٥) وهذا يؤدى إلى عدم الصدق الفنى أو قل هو الزيف الفنى ، وفى رواية يشير إلى سؤال خلاد بن يزيد الباهلى لخلف الأحمر (أبى محرز) بأى شىء ترد هذه الأشعار التى تروى ؟ قال له : هل فيها ما تعلم أنت انه مصنوع لا خير فيه ؟ قال نعم.(٦) ولا شك أن عبارة مصنوع لا خير فيه لا تعنى الزيف

---

(١) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطى ، جـ١ ، ص١٧٧ ، ت محمد أحمد جاد المولى وغيره ، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (د . ت) .

(٢) انظر المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٧٧ : ١٨٢ .

(٣) انظر طبقات فحول الشعراء ، جـ١ ، ص٤ هامش رقم(١) .

(٤) المصدر السابق ، جـ١ ، ص٤ .

(٥) " " ، جـ١ ، ص٤ .

(٦) المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٧ .

الفنى فقط وإنما تعنى النحل أيضا فـ " رواة الشعر ساعة ينشدون المصنوع ينتقدونه ويقولون : هذا مصنوع "(١) ، ولا ريب أن النحل يدخل فى باب المصنوع من الشعر . ولعل هذا ما قصده ابن سلام أيضا حينما روى بيتين " حملا على لبيد ، هما :

باتت تشكّى إلىَّ النفسُ مُجهشةً وقد حلمتُك سبْعا بعدَ سبعين
فإنْ تعيشى ثلاثا تبلُغى أملا وفى الثلاث وفاءٌ للثمانين

ولا اختلاف فى أن هذا مصنوع تكثر به الأحاديث ويستعان به على السهر عند الملوك ، والملوك لا تستقصى "(٢) .

وواضح أن كلمة مصنوع عند ابن سلام لا تعنى الزيف الفنى ، أو الكذب أو النحل ، أو التعمل فقط إنما تعنى كل ذلك أو غيره ، ولعل السياق الذى تأتى فيه الكلمة يزيل ما غمض من إبهامها ويشير إلى المعنى الذى تدل عليه . هذا عن الكلام المصنوع ، أما المصنوع من الألفاظ فهو ما لم يأت منها فى الكلام الفصيح(٣) .

" وقد يستعمل النقاد أحيانا كلمة مصنوع بدلا من كلمة متكلف إحساسا منهم بزيف هذا النوع من الكلام وعدم صدقه الفنى "(٤) . وقصوره عن الكلام المطبوع " ، فـ " الكلام المصنوع بالمعاناة والتكلف قاصر عن الكلام المطبوع (٥) وهم يستخدمون المصنوع والمتكلف ضد المطبوع أيضا ، ولعل أقرب مفهوم للتكلف قول صاحب الصناعتين : " طلب الشيء بصعوبة للجهل بطرائق طلبه بالسهولة ، فالكلام إذا جمع وطلب بتعب وجهد ، وتُنُووِلتْ ألفاظه من بعد فهو متكلف "(٦) . فالتكلف حسب هذا التعريف يعد افتعالا للفظ

---

(١) ذيل الأمالى لأبى على القالى ، ص٦١ ، دار الجيل ، ودار الأفاق الجديدة ، ١٩٨٧م .

(٢) طبقات فحول الشعراء ، جـ١ ، ص٥ . وانظر البيتين فى ديوان لبيد،ص٣٥٢، حيث انهما منسوبان إليه فى القسم الخامس (متفرقات) ديوان لبيد . ت . د . إحسان عباس طبعة ثانية مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٨٤ م .

(٣) انظر المزهر ، جـ١ ص ١٨٢ ، حيث يستشهد ببعض الألفاظ التى أشار إليها اللغويون على أنها مصنوعة .

(٤) الخصومة بين القدماء والمحدثين ، ص ١٧٨ .

(٥) مقدمة ابن خلدون ، جـ٣ ، ص ١٣٢١ ، ت د / على عبد الواحد وافى ، نهضة مصر للطبع والنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة .

(٦) الصناعتين ، ص ٥٠ .

والموضوع ، وهذا أقرب إلى الزيف الفنى منه إلى الصدق الفنى"(١). وهذا ما فسره الجاحظ وأشار إليه قبل تعريف صاحب الصناعتين السابق فى قوله : " ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا ، وزمنا طويلا ، يردد فيها نظره ، ويجيل فيها عقله ، ويقلب فيها رأيه ، اتهاما لعقله ، وتتبعا على نفسه ، فيجعل عقله زماما على رأيه ورأيه عيارا على شعره ، إشفاقا على أدبه ، وإحرازا لما خوله الله تعالى من نعمته ، وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات ، والمقلدات ، والمنقحات ، والمحكمات ، ليصير قائلها فحلا خنذيذا وشاعرا مفلقا "(٢) .

ويبدو تأثر الجاحظ برأى الأصمعى وموافقته له فى قوله :
"وقال الأصمعى : زهير بن أبى سلمى والحطيئة وأشباههما ، عبيد الشعر ، وكذلك كل من جود فى جميع شعره ووقف عند كل بيت قاله، وأعاد فيه النظر حتى يخرج أبيات القصيدة كلها مستوية فى الجودة وكان يقال : لولا أن الشعر قد كان استعبدهم واستفرغ مجهودهم حتى أدخلهم فى باب التكلف ، ومن يلتمس قهر الكلام ، واغتصاب الألفاظ، لذهبوا مذهب المطبوعين الذين تأتيهم المعانى سهوا ورهوا ، وتنثال الألفاظ عليهم الألفاظ انثيالا "(٣) . ويرى أحد الباحثين المحدثين أن تصور الجاحظ هذا لمفهوم التكلف يعنى خلو العمل الأدبى من العاطفة ، فالشاعر الذى يخلو شعره من العاطفة أو أى أثر للانفعال يعد متكلفا ، ويستدل على ذلك بقهره للألفاظ والمعانى(٤) .

وابن قتيبة يشير إلى ما بالشعر المتكلف من عنت حتى وإن كان جيدا محكما .. " والمتكلف من الشعر وإن كان جيدا محكما فليس به خفاء على ذوى العلم ، لتبينهم فيها ما نزل بصاحبه من طول التفكر ، وشدة العناء ، ورشح الجبين وكثرة الضرورات ، وحذف ما بالمعانى حاجة إليه، وزيادة ما بالمعانى غنى عنه "(٥) . كما يرى أن التكلف فى الشعر

---

(١) الخصومة بين القدماء والمحدثين ، ص ١٧٧ .
(٢) البيان والتبيين ، جـ٢ ، ص٩ . ت عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى ، الطبعة السابعة .
(٣) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص١٣ .
(٤) انظر الخصومة ، ص١٧٥ ، ص ١٧٦ .
(٥) الشعر والشعراء ، جـ١ ، ص٨٨ .

ينقض البناء الفنى للقصيدة ، ويحول دون ارتباط الأبيات وتسلسلها ، ومن ثم يعوق تدفقها تدفقا طبيعيا : " وتتبين التكلف فى الشعر أيضا بأن ترى البيت فيه مقرونا بغير جاره ، ومضموما إلى غير لفقه ، ولذلك قال أحدهم لبعض الشعراء : أنا أشعر منك قال : وبم ذلك ؟ قال لأنى أقول البيت وأخاه ولأنك تقول البيت وابن عمه "(١) . كذلك يضع ابن قتيبة الشعر المتكلف مقابل الشعر المطبوع ، فى سياق الموازنة بينهما(٢) .

أما قدامة فيذكر فعل تكلّفَ ومشتقاته فى غير موضع ، من ذلك قوله : فى معرض حديثه عن الترصيع(٣) : " وأكثر الشعراء المصيبين من القدماء والمحدثين قد غزوا هذا المغزى ، وراموا هذا المرمى ، وإنما يحسن إذا اتفق له فى البيت موضع يليق به ، فإنه ليس فى كل موضع يحسن ، ولا على كل حال يصلح ، ولا هو أيضا إذا تواتر واتصل فى الأبيات كلها بمحمود ، فإن ذلك إذا كان دل على تعمّل ، وأبان عن تكلف "(٤) . فالتكلف هنا عبارة عن الجهد الزائد عن الحاجة الضرورية لصناعة الشعر ، ولذلك كان عند قدامة مرادفا للتعمل "(٥) .

كذلك جعل قدامة تكلف الألفاظ من عيوب اللفظ ، مجوزا للقدماء ذلك لأن منهم " من كان أعرابيا قد غلبت عليه العجرفية ، وللحاجة أيضا إلى الاستشهاد بأشعارهم فى الغريب ، ولأن من كان

---

(١) انظر المصدر السابق ، جـ١ ، ص٩٠ .

(٢) المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٨٨ : ٩٠ .

(٣) وهو أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء فى البيت على سجع أو شبيه به ، أو من جنس واحد فى التصريف .. من مثل قول امرئ القيس الكندى فى فرسه :

مخَشّ مجشّ مقبل مدبر معا   كتيس ظباء الحُلّب العَدوان

فأتى باللفظتين الأوليين مسجوعتين فى تصريف واحد ، وبالتاليتين لهما شبيهتين بهما فى التصريف .

المخش : الجرئ الماضى . والمجش : غليظ الصوت ، والتيس : فحل الظباء .

الحلب : نبت ترعاه الظباء يخرج منه ما يشبع اللبن إذا قطع ، وقد شبه الفرس بفحل الظباء فى ضمره ونشاط سرعته ، نقد الشعر ، ص ٤٠ . وانظر ما بعدها ، أمثلة أخرى .

(٤) نقد الشعر ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٥) المصطلح النقدى فى نقد الشعر (دراسة لغوية ، تاريخية ، نقدية) إدريس الناقورى ، ص ٤٤٨ ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع ، طرابلس ، ليبيا ١٩٨٤ م .

يأتى منهم بالوحشى ، لم يكن يأتى به على جهة التطلب لـه ، والتكلـف لما يستعمله منه ، لكن لعادته وعلى سجية لفظه "(١) أما المحدثـون الذيـن يتكلفون اللفظ " فهم يأتون منه بما ينافر الطبع وينبو عنه السمع "(٢) .

وجعل قدامة أيضا التكلف من عيوب ائتلاف المعنى والقافية ، ومعنى التكلف فى طلب القافية عنده : " أن تكون القافية مستدعاة قد تكلف فى طلبها ، فاشتغل معنى سائر البيت بها ، مثل ما قال أبو تمام الطائى :

كالظّبية الأدْماء صافت فارتعتْ   زهر العَرار الغضّ والجثجاثا

فجميع هذا البيت مبنى لطلب هذه القافية" (٣) وقد ذم النقاد التكلف بعد أن أبانوا عن صوره ، وأشاروا إلى مواضعه ، فابن الأثير يشير إلى أثر الكلفة فى عمل الشعر وكيف أنها تذهب برونق صنعته : " فإن الكلفة وحشة تذهب برونق الصنعة" (٤) ويشير حازم القرطاجنى إلى مظاهر التكلف فى العبارات ويراه " يقع إما بتوعر الملافظ أو ضعف تطالب الكلم أو بزيادة ما لا يحتاج إليه أو نقص ما يحتاج ، وإما بتقديم وتأخير ، وإما بقلب ، أو بعدل صيغة عن صيغة هي أحق بالموضع منها ، وإما بإبدال كلمة مكان كلمة هى أحسن موقعا فى الكلام منها "(٥) . اما ابن خلدون فيرى : " أن الكلام المصنوع بالمعاناة والتكلف قاصر عن الكلام المطبوع"(٦) . والتكلف بصفة عامة كان مذموما عندهم ، ولا يكون اسم المتكلف إلا فى المواضع التى يذمونها ، وقد أشار الجاحظ إلى ذلك وبينه فى قوله " ولم أرهم يذمون المتكلف للبلاغة فقط بل كذلك يرون المتظرف والمتكلف للغناء . ولا يكادون يضعون اسم المتكلف إلا فى المواضع التى يذمونها "(٧) .

وبقدر ما ذموا التكلف والصنعة نراهم يثنون على الطبع مشيرين إلى أهميته فى عملية الإبداع الفنى ، والطبع فى المفهوم الاصطلاحى للنقد الأدبى يلتقى فى كثير من خصائصه بالمعنى للكلمة التى تعنى الخليقة

---

(١) نقد الشعر ، ص ١٧٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٢٣ .

(٤) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين بن الأثير ، جـ١ ، ص ٢٨٣ . ت د/ احمد الحوفى ، ود / بدوى طبانة ، نهضة مصر للنشر والتوزيع (د ت) .

(٥) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ٢٢٣ ، ت محمد الحبيب بن الخوجه ، دار الكتب الشرقية ١٩٦٦ م .

(٦) مقدمة ابن خلدون ، جـ٣ ، ص ١٣٢١ ، ت د/ على عبد الواحد وافى ، نهضة مصر للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة .

(٧) البيان والتبيين ، جـ ٢ ، ص ١٨ .

والسجية التى جبل عليها الإنسان(١) . وبهذا المعنى فهو نقيض الصنعة والتكلف فى الأدب ، لأن الشعر المطبوع فى عرف النقاد العرب القدامى هو ما أتى عفوا وصدر عن الشاعر دون تكلف أو تصنع(٢) وهو ما يشير إليه الجاحظ فى وصفه للشعراء المطبوعين : " وهم الذين تأتيهم المعانى سهوا ورهوا ، وتنثال الألفاظ عليهم انثيالا"(٣) . ويفسر ذلك ابن قتيبة فى قوله : " المطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافى ، وأراك فى صدر بيته عجزه ، وفى فاتحته قافيته ، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشى الغريزة ، وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحر "(٤) . وواضح أن المتكلف من الشعراء مناقض للمطبوع منهم ، كما أن المتكلف من الشعر مناقض للمطبوع منه .

ويردد قدامة كلمة المطبوع فتأتى وصفا للشاعر أو الشعراء وعندما يستعمل نعت المطبوعين منهم فهو يشير إلى الشعراء المجيدين الذين يصدرون فى أشعارهم عن سليقة وسماحة ولا يتكلفون قول الشعر(٥) يقول عن التصريع : " وإنما يذهب الشعراء المطبوعون إلى ذلك لأن بنية الشعر هو التسجيع والتقفية "(٦) . وقد مر بنا قوله الذى يرى فيه أن التكلف منافر للطبع ينبو عنه السمع : " فأما أصحاب التكلف لذلك فهم يأتون منه بما ينافر الطبع وينبو عنه السمع "(٧) .

ويفرق المرزوقى بين المطبوع والمصنوع فى قوله : " والفرق بينهما أن الدواعى إذا قامت فى النفوس ، وحركت القرائح ، أعملت القلوب . وإذا جاشت العقول بمكنون ودائعها ، وتظاهرت مكتسبات العلوم وضرورياتها ، نبعت المعانى ، ودرت أخلافها وافتقرت خفيات الخواطر إلى جليات الألفاظ ، فمتى رفض التكلف

---

(١) انظر اللسان ، طبع .
(٢) انظر المصطلح النقدى فى نقد الشعر ، ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ .
(٣) البيان والتبيين ، جـ٢ ، ص ١٣ .
(٤) الشعر والشعراء ، جـ١ ، ص ٩٠ ، ويتزحر من الزحير ، وهو إخراج الصوت أو النفس بأنين عند عمل أو شدة . المعجم الوسيط زحر .
(٥) انظر المصطلح النقدى ، ص ٢٩٢ .
(٦) نقد الشعر ، ص ٥٨ .
(٧) المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

والتعمل ، وخلى الطبع المهذب بالرواية ، المدرب فى الدراسة لاختباره، فاسترسل غير محمول عليه ، ولا ممنوع مما يميل إليه ، أدى من لطافة المعنى ، وحلاوة اللفظ ما يكون صفوا بلا كدر ، وعفوا بلا جهد ، وذلك هو الذى يسمى "المطبوع" . ومتى جعل زمام الاختيار بيد التعمل والتكلف ، عاد الطبع مستخدما متملكا ، وأقبلت الأفكار تستحمله أثقالها وترددها فى قبول ما يؤديه إليها مطالبة له بالإغراب فى الصنعة ، وتجاوز المألوف إلى البدعة فجاء مؤداه ، وأثر التكلف يلوح على صفحاته ، وذلك هو المصنوع " (١) وظاهر أن المطبوع ما ابتعد عن التكلف والتعمل وفسح المجال للطبع الذى هذبته الرواية ، ودربته المدارسة ، فيجعل ذلك العمل الأدبى لطيف المعنى حلو اللفظ ، صافيا بلا كدر ، عفوا بلا مشقة ، أما المصنوع فهو مناقض لذلك ، فتجاوز المألوف إلى البدعة ، وكان أثر التكلف يلوح على صفحاته .

فالمطبوع هو الأصل الذى وضع أولا وعليه المدار(٢) لأنهم " إذا قالوا : الكلام المطبوع ، فإنهم يعنون به الكلام الذى كملت طبيعته وسجيته ، من إفادة مدلوله المقصود منه.."(٣) والنظم صناعة آلتها الطبع(٤) .

ويرى النقاد القدامى أن السمة الغالبة على الشعر الجاهلى هو الطبع أما مدرسة عبيد الشعر فكانت استثناء للقاعدة حتى أن ناقدا كالأصمعى " كان يعيب الحطيئة ويتعقبه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : وجدت شعره كله جيدا ، فدلنى على أنه كان يصنعه . وليس هكذا الشاعر المطبوع ، إنما الشاعر المطبوع الذى يرمى بالكلام على عواهنه : جيده على رديئه"(٥) . فالشاعر المطبوع هو الذى لا يكون

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ، فى مقدمة الشارح ، ص ١٢ ، ت أحمد أمين ، وعبد السلام هارون ، ط دار الجيل .

(٢) انظر العمدة ، جـ١ ، ص ١٢٩ ، ت محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط دار الجيل ، الطبعة الخامسة .

(٣) مقدمة ابن خلدون ، جـ٣ ، ص ١٣١٨ .

(٤) انظر منهاج البلغاء ، ص١٩٩ . حيث يعرف صاحب الكتاب الطبع بأنه "استكمال للنفس فى فهم أسرار الكلام ، والبصيرة بالمذاهب والأغراض التى من شأن الكلام الشعرى أن ينحو به نحوها "

(٥) الخصائص ، لابن جنى ، جـ٣ ، ص٢٨٢ ، ت محمد على النجار ، ط دار الكتب المصرية ، نشر المكتبة العلمية ، حديثة بدون تاريخ .

شعره كله متساويًا فى الجودة أو على نسق واحد ، إنما يكون متفاوتا ولذلك " فإن الشاعر قد يعاب أشد العيب ، إذا قصد بالصنعة سائر شعره ، وبالإبداع جميع فنونه ، فإن تلك مجاهدة للطبع ، ومغالبة للقريحة"(١) ومن ثم امتدح الأعرابى المتقدم ، وفضل على غيره المتأخر ، " لأن الأعرابى لا يعول إلا على قريحته ، ولا يعتصم إلا بخاطره ، ولا يستقى إلا من قليبه ، أما المتأخر الذى يطبع على قوالب ، ويحذو على أمثلة ، ويتعلم الشعر تعلما ، ويأخذه تلقنا ، فمن شأنه أن يتجنب المذموم منه ولا يتبع من تقدمه إلا فيما استحسن منهم، واستجيد لهم واختير من كلامهم "(٢) . ولذا استحسنوا أن يجيء فى القصيدة البيت أو البيتان مما هو مصنوع ، فيستدل بذلك على جودة شعر الرجل وصدق حسه وصفاء خاطره(٣) . ومثل لذلك ابن خلدون فى قوله : " ولنذكر مثالاً من المطبوع الخالص الصنعة ، مثل قول قيس بن ذريح :

وأخـــرج من بين البـــيوت لعلنـــى أحدث عنكِ النفسَ فى السرِّ خاليا

وقول كثير :

وإنّى وتهيامى بعَزّة بعدمـــا تخليْتُ عمّـــا بيننا وتخلّتِ
لكالمرتَجى ظِل الغمامة كلما تبوّأ منها للمقيل اضْمَحلتِ

فتأمل هذا المطبوع الفقيد الصنعة فى إحكام تأليفه ، وثقافة تركيبه ، فلو جاءت فيه الصنعة بعد هذا الأصل زادته حسنا "(٤) والشعراء متفاوتون فى الطبع فقد يجيدون فى فن دون آخر ويكون الطبع باديا فيما يجيدون من مثل الخنساء التى حكم لها النابغة بأنها بكاءة (٥) حينما كانت تنطلق على سجيتها فى رثائها لا تلوى على شئ فجاء شعرها مطبوعا . وإلى مثل هذا أشار ابن قتيبة ووضحه فى

---

(١) الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى للآمدى ، جـ١ ، ص ٢٦٠ ، ت السيد صقر ، دار المعارف ، الرابعة .

(٢) المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٥٩ .

(٣) العمدة لابن رشيق ، جـ١ ، ص ١٣٠ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ، جـ٣ ، ص ١٣٢٠ .

(٥) انظر الخبر فى الأغانى فى رواية حسان بن ثابت : " جئت النابغة ، فوجدت الخنساء بنت عمرو حين قامت من عنده ، فأنشدته ، فقال إنك لشاعر وإن أخت بنى سليم لبكاءة " . الأغانى ، جـ٤ ، ص ١٣٨١ ، طبعة دار الشعب ١٩٦٩م .

قوله : " والشعراء أيضا فى الطبع مختلفون : منهم من يسهل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء . ومنهم من يتيسر له المراثى ، ويتعذر عليه الغزل "(١) .

ويضرب مثالا على ذلك : " فهذا ذو الرمة أحسن الناس تشبيها ، وأجودهم تشبيها ، وأوصفهم لرمل وهاجرة وفلاة وماء وقراد وحية ، فإذا صار إلى المديح والهجاء خانه الطبع وذاك أخره عن الفحول "(٢) .

ومما لاحظه النقاد أن الطبع قد يتفوق على العلم وعلى المعرفة فقد " كان أبو العتاهية من سوقة الناس وعامتهم ، وكان طبعه وقريحته أكثر ما اكتسبه من أدبه ، واقتناه بعلمه "(٣) .

غير أن النقاد القدماء تعصبوا للقديم على الحديث ، وربما كان شعر أبى العتاهية وطبعه لا يعجبهم ، فهو من أعلام الشعراء المحدثين ومشهوريهم ، " وأخص الناس الذين كانوا يتعصبون للقدماء ، ولا يكادون يقرون بإحسان لمحدث هم النحويون واللغويون "(٤) . وربما كان فى اشتغالهم بجمع الشعر الجاهلى والإسلامى السبب القوى فى ذلك ، فقد رأوا أن الشعر المحدث لا يمكن أن يتمشى فى كل شيء مع الروح العربية ، ولا مع الصياغة العربية(٥) . ومن ثم رأوه مصنوعا أو متكلفا بينما رأوا القديم مطبوعا ، لا يعول فيه الشاعر إلا على قريحته ، ولا يعتصم إلا بخاطره ، ولا يستقى إلا من قليبه(٦) .

ومن هنا أسهم هؤلاء اللغويون فى إشعال الخصومة بين أنصار الشعر القديم ، وأنصار الشعر الحديث ، وأصبح التساؤل قائما أيهما أحسن: أشعر البداوة والسليقة والوضوح أم شعر الصنعة والتعمل ؟(٧) .

---

(١) الشعر والشعراء ، جـ١ ، ص ٩٣ ، ٩٤ .
(٢) المصدر السابق ، جـ١ ، ص٩٤ .
(٣) الموشح للمرزبانى ، ص ٣٢٨ ، ت على محمد البجاوى ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع (د.ت) .
(٤) تاريخ النقد الأدبى عند العرب من العصر الجاهلى إلى القرن الرابع الهجرى ، طه أحمد إبراهيم ، ص ١٠١ ، دار الحكمة بيروت (د.ت) .
(٥) انظر المرجع السابق ، ص ١٠١ ، ١٠٢ .
(٦) انظر الموازنه للآمدى ، جـ١ ، ص٢٦٠ .
(٧) انظر تاريخ النقد الأولى عند العرب ، ص١٠٠ .

والروايات التى تشير إلى تفضيل هؤلاء اللغويين لشعر القدماء كثيرة ، فقد حكى عن إسحاق بن إبراهيم الموصلى أنه قال : أنشدت الأصمعى :

هل إلى نظرة إليك سبيل فيبل الصدى ويشفى الغليل
إن ما قل منك يكثر عندى وكثير ممن نحب القليل

فقال : والله هذا الديباج الخسروانى ، لمن تنشدنى ؟ فقلت إنه لليلتهما ، فقال : لا جرم والله إن أثر الصنعة والتكلف فيهما ظاهر(١). وموقف ابن الأعرابى لا يختلف كثيرا عن موقف الأصمعى إن لم يكن يفوقه فى التعصب للقديم فقد روى عنه قوله : "إنما أشعار هؤلاء المحدثين – مثل أبى نواس وغيره مثل الريحان يشم يوما ويذوى فيرمى به ، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيبا"(٢) ، وكذلك إشادته بالقديم وتفضيله على الحديث حينما أنشده رجل شعرا حسنا لأبى نواس وقال له : أما هذا من أحسن الشعر ؟ قال بلى : ، ولكن القديم أحب إلى(٣) .

لكن هذا الموقف من القديم تناقضه روايات أخرى تشير إلى استحسان اللغويين لأشعار المحدثين – خصوصا – المطبوعين منهم ، يؤيد هذا تفضيل الأصمعى بشارا على مروان بن أبى حفصة (وهما محدثان) ذلك " لأن مروان سلك طريقا كثر سلاكه فلم يلحق بمن تقدمه ، وإن بشارا سلك طريقا لم يسلكه أحد فانفرد به وأحسن فيه ، وهو أكثر فنون شعر ، وأقوى على التصرف ، وأغزر وأكثر بديعا ، ومروان آخذ بمسالك الأوائل "(٤) . وهذا يشير إلى اعتراف الأصمعى بشاعرية بشار وتجديده فى الشعر وبكثرة بديعه ، أما من سلك مسلك الأوائل من مثل مروان بن أبى حفصة فلم يقدمه لأنه لم يلحق بهم ولم يبلغ درجة المجيدين منهم وقيل عنه إنه كان ينقح الشعر ويحككه ولم يكن مطبوعا(٥) . وربما كان هذا سببا رئيسا فى تفضيل

---

(١) انظر الرواية فى الموازنة ، جـ١ ، ص ٢٣ ، ٢٤ ، والوساطة ، ص ٥٠ ، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ، ص ٢٧١ . ت . عبد المتعال الصعيدى ، مكتبة صبيح ١٩٦٩ م .

(٢) الموشح ، ص ٣١٣ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ٣١٣ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣١٩ ، وانظر الرواية فى الأغانى جـ٣ ، ص ٩٩٣ مع تغير طفيف .

(٥) انظر الموشح ، ص ٣١٩ .

الأصمعى بشارا عليه ، وموقف الأصمعى السابق من الحطيئة ما زال مائلا ، وكذلك رؤيته للشاعر المطبوع والتى تنطبق على بشار فقد قيل : " إنه ينظم الشذرة ، ثم يجعل إلى جانبها بعرة "(١) .

وكان الأصمعى يرى أن بشارا مطبوع غير متكلف ، بينما كان يرى مروان متكلفا فهو " يعجب بشعر بشار لكثرة فنونه وسعة تصرفه ، ويقول : كان مطبوعا لا يكلف طبعه شيئا متعذرا لا كمن يقول البيت ويحككه أياما . وكان يشبه بشارا بالأعشى والنابغة الذبيانى ، ويشبه مروان بزهير والحطيئة ويقول إنه متكلف "(٢) . فمعيار التفضيل ههنا هو الطبع الذى يدفع الشاعر إلى التفاوت فى شعره لأنه يصدر عن سجية الشاعر وطبعه ، وهذا ما يراه الأصمعى فى الشعر المطبوع ؛ يقول عن أبى العتاهية " شعر أبى العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى"(٣) .

وعلى هذا الأساس راح الأصمعى يصوغ رؤيته فى الشعراء المحدثين من مخضرمى الدولتين أو ممن عايشهم وقبل أشعارهم واستحسنها ، فيروى قوله : " ساقة الشعراء ابن ميادة ، وابن هرْمة ، ورؤبة وحكم الخضرى ، ومكين العذرى ، وقد رأيتهم أجمعين "(٤). وفى رواية أخرى تؤكد أفضلية ابن هرمة عنده قوله " ختم الشعر بابن هرمة "(٥) . أما موقف ابن الأعرابى ، فهو لا يختلف عن موقف الأصمعى فنراه يستحسن شعر أبى نواس ، فحينما سمع قصيدة أبى نواس التى أولها :

أيها المنتاب عن عُقُره   لستَ مِنْ ليْلى ولا سَمَرهْ
لا أذود الطير عنْ شجر   قد جنيت المرّ منْ ثمره

قال : أحسن والله ، ولو تقدم هذا الشعر فى صدر الإسلام لكان فى صدر الأمثال السائرة"(٦) . ثم يفضل أبا نواس عن غيره من المولدين

(١) المصدر السابق ، ص ٣١٨ .
(٢) الأغانى ، جـ ٣ ، ص ٩٩٥ .
(٣) المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٢٥٤ .
(٤) الشعر والشعراء ، جـ٢ ، ص ٧٥٣ .
(٥) طبقات الشعراء لابن المعتز ، ص ٢٠ ت عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة .
(٦) العمدة لابن رشيق ، جـ٢ ، ص ١٤٠ ، حيث ينقل الخبر عن الحاتمى .

فى قوله : " أمدح بيت قاله مُولّد قول أبى نواس " :

تغطيتُ من دهْرى بظل جناحــهِ فعينى ترى دهرى وليس يرانى
فلو تُسأل الأحداثُ عنّى ما درتْ وأين مكانى ما عرفْنَ مكانى(١)

كذلك كان أبو نواس مثار إعجاب لواحد مثل أبى يوسف يعقوب بن السكيت - وهو من علماء النحو واللغة ففسر ديوانه(٢) .

ولسنا بصدد مناقشة قضية تناقض آراء اللغويين فى شعر المحدثين ، إنما ما نريد الإشارة إليه هو أن علماء اللغة الذين عرفوا بأنهم من أشد أنصار القدماء قبلوا كثيرا من شعر المحدثين ، واستحسنوه ، وأشادوا به وبطبع أصحابه من مثل بشار وابن هرمة وأبى نواس وغيرهم ، مما اضطر النقاد بعد ذلك إلى التسليم بشعر المحدثين ، وعلت فى خلال ذلك أصوات كثيرة من خارج ميدان اللغويين والنحاة تفضل الشعر المحدث وتشيد به وتشجعه ، وكانت هذه الأصوات لأدباء وشعراء ومتكلمين وفقهاء وغيرهم(٣) .

ولو وقفنا عند واحد مثل الجاحظ لرأيناه ينوه بكثير من الشعراء المحدثين ويتحدث عنهم ، يقول عن بشار : " وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع "(٤) . ويراه " مع العيُّوق ، وليس فى الأرض مولد قروى ، يُعدّ شعره فى المحدث إلا وبشار أشعر منه "(٥) . كذلك ينوه بمكانة أبى نواس مبديا إعجابه به - خصوصا - فى شعره الطردى فى قوله - : " وصفات الكلاب مستقصاة فى أراجيزه هذا مع جودة الطبع ، وجود السبك ، والحذق بالصنعة ، وإن تأملت شعره فضلته "(٦) . ولا شك أن الصفتين الأخريين - وهما جودة السبك ، والحذق بالصنعة - تؤكدان الصفة الأولى وهى جودة طبع أبى نواس ، وصدق شاعريته .

---

(١) العمدة لابن رشيق ، جـ٢ ، ص ١٤٠ ، حيث ينقل الخبر عن الحاتمى .
(٢) الوساطة ، ص ٥٥ .
(٣) انظر : النقد العربى وشعر المحدثين فى العصر العباسى (محاولة لقراءة جديدة) د . عبد الحكيم راضى ، ص ١٢٩ ، دار الشايب للنشر ١٩٩٣ م .
(٤) الأغانى ، جـ٣ ، ص ٩٩١ .
(٥) الحيوان ، جـ٤ ، ص٤٥٤ . والعيوق بفتح العين وتشديد الياء المضمومة : نجم أحمر مضيء فى طرف المجرة الأيمن ، يتلو الثريا ، لا يتقدمها . يضرب به المثل فى العلو (هامش١ المصدر السابق) .
(٦) الحيوان جـ٢ ، ص ٢٧ .

وهناك ملحوظة قيمة يشار إليها وهى أن خط التطـور البديعـى كان واضحا فى ذهن الجاحظ الذى يبدو ممسكا بـالخيط الـذى التقطـه من بعده ابن المعتز صـاحب (كتـاب البديـع) ممـا يـدل علـى اهتمـام واضح بشعر المحدثين رواية ودرايــة(١) ومـن هنـا فإنـه إذا مـا ذكـر شعر المحدثين فإنه يتبادر إلى الذهن ارتباطه بالبديع المساوى للصنعة أو هو البديل الذى حل محلها ووسم بـه النقـاد شـعر المحدثيـن وعـابوا عليـهم المبالغـة فـى اسـتخدامه ووجـدوا أن الاقتصـاد فيـه هـو الغايــة المبتغاة ، وهذا ما قصد إليه ابن المعتز فى كتابه "البديع" ، فاستحســن أن " يقول الشاعر من هذا الفن البيت أو البيتين فى القصيـدة ، وربمـا قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع ، وكــان يستحسـن ذلـك منـــهم إذا أتـــى نـــادرا ، ويـــزداد حظـــوة بيـــن الكـــلام المرسل"(٢) .

أما فى كتابـه " طبقـات الشـعراء " فأشـاد بكثـير مـن الشـعراء المحدثين وروى شعرهم دون أن يلزمهم بمنهج أو أسلوب تقليدى(٣). وهو يصف شعر كثير منهم بالمطبوع من مثل بشار بن بـرد ، والسـيد الحميرى ، وسديف ، وأبو دلامة وأبـو نخيلـة ، وإبراهيـم بـن سـيابة ، وسلم الخاسر وغيرهم ممن وصفهم بالمطبوعين ، واللافت ـ كما نـوه بذلك د. جابر عصفور - أن صفة المطبوع تقترن بغيرها من أوصـاف مصاحبة لها(٤) كتلك التى وردت عن بشار الذى " كان شاعرا مفلقـا ظريفا محسنا "(٥) " وكان مفتنا بارعا ، وكان مـن الشـعر بمكـان لـم يكن به أحد غيره "(٦) . وكان " أستاذ أهل عصره من الشعراء غـير مدافع "(٧) . والسـيد الحمـيرى " كـان شـاعرا ظريفـا حسـن النمـط ، مطبوعا جدا محكم الشعر "(٨) . وسُديف " مطبوع الشعر حسنه "(٩) .

---

(١) انظر النقد العربى وشعر المحدثين . د. عبد الحكيم راضى ، ص ١٣٠ .
(٢) البديع ، ص ٧٤ . ت د . محمد عبد المنعم خفاجى ، دار الجيل ، ١٩٩٠ م .
(٣) انظر النقد العربى وشعر المحدثين ، ص ١٣١ .
(٤) انظر قراءة التراث النقدى ، ص ٢١٦ ، دار سعاد الصباح ، طبعة أولى ١٩٩٢ م .
(٥) طبقات الشعراء ، ص ٢١ .
(٦) المصدر السابق ، ص ٢٣ .
(٧) " " ، ص ٢٦ .
(٨) " " ، ص ٣٢ .
(٩) " " ، ص ٣٧ .

وكان أبو دلامة مطبوعا مفلقا ظريفا كثير النوادر فـي الشعر ، وكـان صاحب بديهة ، يداخـل الشـعراء ويزاحمـهم فـى جميـع فنونـهم"(١) . وأبـو نُخيلـة " كـان مطبوعـا مقتدرا كثـير البدائـع والمعــانى غزيــرا جدا"(٢) . وإبراهيم بن سيابة " كان أحـد المبطوعيـن وكـان محجاجـا منطيقا"(٣) . وسلم الخاسر " أحد المطبوعيـن المحسنين وكـان كثـير البدائع والروائع فى شعره"(٤) . إلى غير ذلك من الصفات . وعندمـا تقـرن صفـة المطبـوع بـهذه الصفـات المصاحبـة لـها يكـون الشــاعر المطبوع فى طبقات ابن المعتز كما أجملها د/ جـابر عصفـور شـاعرا "منطيقـا " ، " فصيحـا " ، " مفوهـا " ، " غزيـرا " ، " لسـنا " ، "فحـلا" ، " يضـع لسـانه حيـث يشـاء " و " يلعـب بالشـعر لعبـا " ، "صاحب بديهة " ، قـادرا علـى الكـلام " ، يتدفـق تلقائيـا بالشـعر كمـا يتدفق النبع الصافي بالماء الزلال ، ميسرا للشعر بفطرتـه التـى فطـره الله عليها ، متيسرًا عليه بغريزته التى تجـود فـى يسر وإسـماح "(٥) هكذا كانت نظرة ابن المعتز للشـعراء المطبوعيـن المحدثيـن . وهكـذا كانت صفاتهم التى وسمهم بها ، فيقر بشاعريتهم المتفردة التى تصـدر عن سجية وعن فطرة . أما موقفـه مـن أبـى تمـام والـذى يمثـل شـعره التكلف والمبالغة فى البديع ، فإنه لم يقل ما يقلل من شأنه أو يحـط مـن قدره بل اعترف له بحسـن الشـعر والغـزارة وغلبـة الجـودة مـن مثـل قولـه: " ومما يستملح مـن شـعره ، - وشـعره كلـه حسـن - داليتـه فـى المأمون .. "(٦) . " ولو استقصينا ذكر أوائل قصائده الجياد التى هى عيون شعره لشغلنا قطعة من كتابنا هذا بذلك ، وإن لـم نذكـر منـها إلا مصراعا ، لأن الرجل كثـير الشـعر جدا "(٧) . وأكـثر مـا لـه جيـد ، والردىء الذى له إنما هو شىء يستغلق لفظه فقط ، فأما أن يكـون فـى شعره شىء يخلو من المعانى اللطيفة والمحاسن والبدع الكثيرة فلا "(٨) .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٤ .
(٢) " " ، ص ٦٣ .
(٣) " " ، ص ٩٢ .
(٤) " " ، ص ١٠٠ .
(٥) قراءة التراث النقدى ، ٢١٦ .
(٦) طبقات الشعراء ، ص ٢٨٤ .
(٧) المصدر السابق ، ص ٢٨٥ .
(٨) " " ، ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

هذا وقد أشار إلى شغفه بالبديع وإفراطه فيه فى كتابه " البديع " مما أدى به إلى أن يحسن فى بعض المواضع ، ويسىء فى بعضها "ثم إن حبيب بن أوس الطائى من بعدهم شغف به ، حتى غلب عليه وتفرع فيه وأكثر منه فأحسن فى بعض ذلك وأساء فى بعض ، وتلك عقبى الإفراط وثمرة الإسراف "(١) .

وعندما ألف كتابا عن أبى تمام (٢) لم يكن الكتاب قاصرا على مساوئ أبى تمام ، إنما تناول فيه محاسن شعر أبى تمام ومساويه: " ربما رأيت فى تقديم بعض أهل الأدب الطائى على غيره من الشعراء إفراطا بينا ، فاعلم أنه أوكد أسباب تأخير بعضهم إياه عن منزلته لما يدعوه إليه اللجاج ، فأما قولنا فيه : فإنه بلغ غايات الإساءة والإحسان ، فكأن شعره قوله :

إن كان وجهُك لى تترى محاسنه   فإنّ فعلك بى تترى مساويه(٣)

لقد كان لابن المعتز موقفٌ معتدلٌ من الرجل جعله فى القدر المناسب له ، وتدل الروايات على أنه كان يتخذ موقف الدفع عن أبى تمام ضد من يعيب شعره ، ويظل ينشده من شعره الحسن حتى يفحمه. ونراه يهاجم بشدة أولئك الذين يرفضون الأشعار الحسنة مثل أشعار أبى تمام(٤) .

وتأخذ مسألة الطبع والصنعة فى شعر المحدثين بعدا جديدا حينما آلت إلى الآمدى صاحب الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، فقد كان البحترى نموذجا لمن ينتهج نهج القدماء ويقتفى أثرهم ويركب مركبهم لأنه " أعرابى الشعر مطبوع وعلى مذهب الأوائل "(٥) . بينما شعر أبى تمام لا يشبه أشعار الأوائل ، ولا على طريقتهم ، ولأن أبا تمام شديد التكلف صاحب صنعة(٦) . " فقد أغراه الله بوضع

(١) البديع ، ص ٧٤ .
(٢) النص الكامل للكتاب غير موجود ولكنه ـ فيما يبدو ـ متناثر فى عدة كتب أشهر أخبار أبى تمام للصولى ، والموشح للمرزبانى .
(٣) الموشح ، ص ٣٨١ .
(٤) انظر النقد العربى وشعر المحدثين فى العصر العباسى ص ١٣١ ، وانظر أخبار أبى تمام لمحمد بن يحى الصولى ، ص٩٧ ، ٨٩ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ت خليل عساكر وغيره ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٣٧م .
(٥) الموازنة جـ١ ، ص ٤ .
(٦) انظر المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٤ .

الألفاظ فى غير مواضعها من أجل الطباق والتجنيس اللذين بـهما فسد شعره ، وشعر كل من اقتدى به "(١) . وصارت صنعتـه هذه تعرف بالبديع فى عمومـها وأصبحت علامـة علـى شـعره ، وشـعر كـل مـن اقتـدى بسنته واقتفـى أثـره ، وتعرض بسـببها إلـى انتقـادات قـل أن يتعرض لها شاعر قبله(٢) ، والآمدى ينتهج نهج التقابل فـى الموازنـة بين أبى تمام والبحترى أى بين صاحب الصنعـة ، وصـاحب الطبـع ، بين المصنوع من الشعر والمطبوع منـه ؛ فيورد الـرأى ومـا يقابلـه ، وتأتى هذه الآراء فى صورة جدلية ، تأخذ من المناقشة ، وقرع الحجة أسلوبا ومنهجا ، سواء فيما يرويه – فى قوله قال صـاحب أبـى تمـام ، وقـال صـاحب البحـترى – أو فـى معـرض تناولـه لشـعر الرجليـن بالتحليل والنقد على مستوى كتاب الموازنة كله فمن صور الخصومـة بيـن الرجليـن ؛ قـال صـاحب أبـى تمـام : " فـأبو تمـام انفـرد بمذهـب اخترعه ، وصـار فيه أولا ، وإماما ومتبوعـا ، وشـهر بـه حتـى قيـل : مذهب أبى تمام ، وطريقـة أبـى تمـام ، وسـلك النـاس نـهجـه ، واقتفـوا أثره ، وهذه فضيلة عَرِىَ عن مثلها البحترى"(٣) ، فكان رد صـاحب البحترى : " ليس الأمر فى اختراعه لهذا المذهب على ما وصفتـم ولا هو بأول فيه ، ولا سابق إليه ، بل سلك فى ذلك سبيل مسلم بن الوليد ، واحتذى حذوه ، وأفرط وأسرف وزال عـن النـهج المعـروف والسـنن المألوف ..."(٤) ، وفى السياق نفسه تشير إحدى الروايـات أن " أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد ، ثم اتبعه أبو تمام ، واستحسن مذهبه، وأحـب أن يجعـل كـل بيـت مـن شـعره غير خـال مـن بعـض هـذه الأصنـاف، فسلك طريقـا وعـرا ، واسـتكره الألفـاظ والمعـانى ، ففسـد شعره ، وذهبت طلاوته ونشـف مـاؤه "(٥) ، بينمـا البحـترى لـم يكـن كذلك وما فارق عمود الشعر وطريقته ، وكأن صنعة أبى تمـام جعلتـه يخرج عن عمود الشعر وطريقته ، فالبحترى " ما فـارق عمود الشعر

(١) المصدر السابق جـ١ ـ ص ٢٢٩ .

(٢) انظر على سبيل المثال تلـك الانتقـادات التـى وجـهت إلـى أبـى تمـام وأوردهـا صاحب الموازنة وكانت من بعض اللغويين والـرواة والشـعراء انظر الموازنـة ، جـ١ ، ص ٤ ومـا بعدها .

(٣) الموازنة ، جـ١ ، ص١٣ .

(٤) المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٣ ، ١٤ .

(٥) المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٧ ، ١٨ .

وطريقته المعهودة ، مع ما نجده كثيرا فى شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة ، وانفرد بحسن العبارة ، وحلاوة الألفاظ ، وصحة المعانى : حتى وقع الإجماع على استحسان شعره واستجادته"(١) ، ويرى خصوم أبى تمام ان معانيه كانت غريبة ليس لها حلاوة فى النفوس كمعانى الأعرابى القح فهو قد " كان مغرما مشغوفا بالشعر ، وانفرد به وجعله وكده ، وألف فيه كتبا ، واقتصر من كل علم عليه ، فإذا أورد المعنى المستغرب لم يكن ذلك منه ببدع، لأنه يأخذ المعانى ويحتذيها ، فليست له فى النفوس حلاوة ما يورده الأعرابى القح "(٢) . كذلك يرون أن " أبا تمام تعمد إدخال ألفاظ غريبة فى مواضع كثيرة من شعره "(٣) . لأنه أراد أن يدل على علمه باللغة وبكلام العرب(٤) . " والبحترى لم يقصد هذا ولا اعتمده، ولا كان له عنده فضيلة ، ولا رأى أنه عالم ، لأنه نشأ ببادية منبج ، وكان يتعمد حذف الغريب والوحشى من شعره ليقربه على فهم من يمدحه إلا أن يأتيه طبعه باللفظة بعد اللفظة فى موضعها من غير طلب لها"(٥) . ورأى خصوم أبى تمام أنه " لا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من عدة أبيات يكون فيها مخطئا ، أو محيلا ، أو عن الغرض عادلا ، أو مستعيرا استعارة قبيحة ، أو مبهما له بسوء العبارة والتعقيد حتى لا يفهم ، ولا يوجد له مخرج "(١) ، ولذا صار جيده موصوفا معروفا " لأنه يأتى فى تضاعيف الرديء الساقط"(٢). فإن " المطبوع الذى هو مستوى الشعر قليل السقط لا يبين جيده من سائر شعره بينونة شديدة ، ومن أجل ذلك صار جيد شعر أبى تمام معلوما وعدده محصورا "(٣) .

ومثل هذه الصور التى تظهر صنعة أبى تمام وتكلفه نراها واضحة

---

(١) الموازنة ، جـ١ ، ص ١٨ ، ١٩ .

(٢)المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٣)المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٥ .

(٤)انظر المصدر السابق جـ١ ، ص ٢٥ ، ٢٦ ، حيث يرى أنصار أبى تمام أن الشاعر العالم أفضل من الشاعر غير العالم ، بينما يرى أصحاب البحترى غير ذلك ، فالمعلوم الشائع أن شعر العلماء دون شعر الشعراء .

(٥)المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٦ .

(٦)الموازنة ، جـ١ ، ص ٥٢ .

(٧)المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٥٤ .

جلية فى الموازنة التطبيقية بين الشاعرين ، مثال ذلك حينما وازن الآمدى بينهما فى باب مَنْ وصف الديار وساكنيها(١) . ورأى فى نهاية الموازنة بينهما : " أن أهل الصنعة يفضلون كل ما قاله أبو تمام على أكثر ما قاله البحترى فى هذا الباب ، ويقولون : إن أبا تمام استقصى الوصف فى نعوت النساء وأحسن وأجاد . وقد كان ذلك لعمرى على ما فيه من الإساءات والألفاظ الرديئة التى ذكرتها "(٢) . إلا أن المطبوعين من الشعراء لا يكون الفضل عندهم قائما على استقصاء المعانى والإغراق فى الوصف ، " .. وإنما يكون الفضل عندهم فى الإلمام بالمعانى ، وأخذ العفو منها ، كما كانت الأوائل ، تفعل مع جودة السبك ، وقرب المأتى "(٣) ، لقد كانت صنعة أبى تمام هى المسيطرة على فنه ، وكان مذهبه البديعى يملأ شعره حتى " طغى المذهب على طبعه إلى حد كبير ، ولذلك كثر سقطه ، وإن لم يخل شعره من الجميل الرائع فى بعض الأحيان ، بحيث يبدو لنا أن مذهبه كان أقوى من طبعه ، وأن صنعته كثيرا ما أفسدت ذوقه"(٤) . وهذا راجع كما ذكر الآمدى إلى مذهبه (أى صنعته) فى معظم شعره الذى يقوم على سوء التأليف ورداءة اللفظ ، مما يذهب بطلاوة المعنى ويفسده ويعميه(٥) ، أما حسن التأليف وبراعة اللفظ فيزيد المعنى بهاء وحسنا ورونقا وذلك مذهب البحترى ، ولهذا قال الناس : لشعره ديباجة ، ولم يقولوا ذلك فى شعر أبى تمام(٦) .

هكذا كانت فى الأغلب صورة الرجلين لدى الآمدى على امتداد كتاب الموازنة كله . ويبدو أن هذه الصورة كان لها ما يماثلها لدى بعض النقاد المعاصرين للآمدى ، ويأتى القاضى الجرجانى على رأسهم الذى يشير إلى مظاهر التكلف فى شعر أبى تمام بقوله : " إنه حاول من بين المحدثين الاقتداء بالأوائل فى كثير من ألفاظه ، فحصل منه على توعير اللفظ ، فقبح فى غير موضع من شعره ... فتعسف ما أمكن ، وتغلغل فى التعصب كيف قدر ، ثم لم يرض بذلك حتى أضاف

---

(١)المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٥٠٩ . (٢)" " ، جـ١ ، ص ٥٢٤ .
(٣) " " ، جـ١ ، ص ٥٢٥ .
(٤) النقد المنهجى عند العرب ، ومنهج البحث فى الأدب واللغة ، د/ محمد مندور ، ص ٥٨، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٦٦م .
(٥) انظر الموازنة جـ١ ، ص ٤٢٥ . (٦) انظر المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٤٢٥ .

إليه طلب البديع ، فتحمله من كل وجه ، وتوصل إليه بكل سبب ولم يرض بهاتين الخلتين حتى اجتلب المعانى الغامضة وقصد الأغراض الخفية ، فاحتمل فيها كل غث ثقيل ، وأرصد لها الأفكار بكل سبيل ؛ فصار هذا الجنس من شعره إذا قرع السمع لم يصل إلى القلب إلا بعد إتعاب الفكر ، وكد الخاطر والحمل على القريحة ؛ فإن ظفر به ، فذلك من بعد العناء والمشقة ، وحين حسره الإعياء ، وأوهن قوته الكلال . وتلك حال لا تهش فيها النفس للاستمتاع بحسن، أو الالتذاذ بمستظرف ؛ وهذه جريرة التكلف"(١) . يقول هذا بالرغم من أنه يشهد له بالفضل والتقديم ، وأن هذا التكلف لا يغطى كل شعره، وإنما قد يخص ما استشهد به من شعر أساء فيه ، يقول : "ولست أقول هذا غضا من أبى تمام ، ولا تهجينا لشعره ، ولا عصبية عليه لغيره ، فكيف وأنا أدين بتفضيله وتقديمه ، وأنتحل موالاته وتعظيمه ، وأراه قبلة أصحاب المعانى ، وقدوة أهل البديع.."(٢) .

أما البحترى - عنده - فهو صاحب السهل الممتنع المطبوع من الشعر : " ومتى أردت أن تعرف ذلك عيانا ، وتستثبته مواجهة ، فتعرف فرق ما بين المصنوع والمطبوع ، وفضل ما بين السمح المنقاد ، والعصى المستكره فاعمد إلى شعر البحترى .."(٣) . وفى السياق نفسه ، وفى موضع آخر يقول عن شعر البحترى بعد أن يستعرض بعضا من أبياته استجادها ، وتأثر بها : " ثم انظر : هل تجد معنى مبتذلا ولفظا مشتهرا مستعملا ! وهل ترى صنعة وإبداعا أو تدقيقا أو إغرابا !؟ ثم تأمل كيف تجد نفسك عند إنشاده ، وتفقد ما يتداخلك من الارتياح ، ويستخفك من الطرب إذا سمعته "(٤) . وكأن هذا الوصف لشعر البحترى تعريض بأبى تمام وبطريقته فى صنع الشعر ، وتأكيد على بيان ما فى شعره من صنعة وإشارة واضحة إلى الفرق بين نهجه ونهج البحترى لكن هل كان البحترى حقا شاعرا قديما تقليديا ، لم يخرج على أى شىء من السمات التقليدية للشعر

---

(١) الوساطة ، ص ١٩ .
(٢) انظر المصدر السابق ، ص ١٩ ، ٢٠ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٥ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٢٧ .

العربى (١) . ومن ثم نال استحسان هؤلاء النقاد وثناءهم ؟. الواقع أن الروايات تشير إلى أن البحترى كان يميل إلى التجديد ، بل إنه من شعراء هذه المدرسة التى مالت إلى التجديد(٢) ، وكان أقرب ما يكون من أستاذه أبى تمام ، وهذا ما أقربه نخبة من القدماء الذين أحسوا بانتماء الشاعرين إلى روح واحدة - وهى روح الأخذ بالجديد والجرى وراء البديع ، وإن سجلوا الفرق فى تناول كل منهما(٣) ، فهذا صاحب الأغانى يذكر ذلك فى قوله " وكان البحترى يتشبه بأبى تمام فى شعره ويحذو مذهبه ، وينحو نحوه فى البديع "(٤) ، أما الآمدى فيشير إلى أن كثيرا من الناس قد جعلهما طبقة ، وذهب إلى المساواة بينهما(٥) .

ويرى ابن رشيق أنهما من أصحاب الصنعة " وقد كانا يطلبان الصنعة ويولعان بها "(٦) . وإلى مثل ذلك رأى البديعى ، حينما ردد ما قاله أبو الفرج آنفا(٧) , وقد كان البحترى يقر بأن أبا تمام هو أستاذه الذى تعلم على يديه الشعر ، فقد قيل له ذات يوم بعد أن أنشد شعرا كان أبو تمام قد أنشد مثله : أنت والله أشعر من أبى تمام فى هذا الشعر ، قال : كلا والله إن أبا تمام للرئيس والأستاذ ، والله ما أكلت الخبز إلا به ، وفى رواية أخرى قيل له : إن الناس يزعمون أنك أشعر من أبى تمام ، فقال : ما ينفعنى هذا القول ، ولا يضر أبا تمام ، والله ما أكلت الخبز إلا به ولوددت أن الأمر كما قالوا ، ولكنى والله تابع له ، آخذ منه لائذ به ، نسيمى يركد عند هوائه ، وأرضى تنخفض عند سمائه (٨) .

---

(١) النقد العربى وشعر المحدثين ، ص١٤٦ .
(٢) انظر تاريخ النقد الأدبى ، طه إبراهيم ، ص ١٠٢ .
(٣) النقد العربى ، وشعر المحدثين فى العصر العباسى ، ص ١٤٧ .
(٤) الأغانى ، جـ ٢٤ ، ص ٨٢٠٤ .
(٥) انظر الموازنة ، جـ١ ، ص ٤ .
(٦) العمدة ، ص ١٣٠ .
(٧) هبة الأيام فيما يتعلق بأبى تمام ، ص١٢ ، نشره محمود مصطفى ، مطبعة العلوم ، ١٩٣٤ م .
(٨) انظر أخبار البحترى لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى ، ص ٦٤ ، ٧٦ ، ت د / صالح الأشتر ، دار الأوزاعى للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، طبعة ثالثة ١٩٨٧م . وكذا انظر الأغانى ، جـ ٢٤ ، ص ٨٢٠٥ .

هكذا يقر البحترى بفضل أبى تمام عليه ، وبأستاذيته له وبتأثره به وبنهجه ، غير أن مسألة البديع عنده تختلف كثيرا عن البديع عند أبى تمام ، فالفرق كبير فى تناول كل منهما له ، ومن ثم كانت الخصوصية لكل واحد منهما فأبو تمام قد غالى كثيرا فى استعماله – كما أشير إلى ذلك – بينما كان البحترى لا يجنح إلى استعماله ، ويضعه في موضعه المناسب له ، بالرغم من طلبه له ، وبحثه عنه . وهذا ما أشار إليه الباحثون المحدثون وفندوه ، حينما وازنوا بين بضاعة الرجلين وموقفيهما مستلهمين آراء النقاد القدامى ، فرأوا أن البحترى لم يستطع أن يجارى أبا تمام فى صناعته ، لا لشيء إلا لأنه أعرابى من أهل البادية ، ومثله لا يستطيع أن ينتقل دفعة واحدة من القديم إلى الجديد ، فوقف تأثره بأبى تمام عند الجوانب الظاهرة(١) . على أية حال أضحى الاقتصار والإقلال فى استخدام البديع فى الشعر محمودا لدى كثير من النقاد – خصوصا – حينما ازداد انتشاره ، وأغرم به كثير من الشعراء ، وصار مذهبا جديدا فى نظم الشعر ، وظل يمارس تأثيرا بالغا على الأدب العربى فى أجيال متتالية(٢) .

لقد رأينا هؤلاء النقاد لا يتحمسون لكثرته فى الشعر إلا بقدر وفائه بالمعنى والوصول به إلى الصورة الكاملة ؛ فهذا عبد القاهر ينعى كثرة البديع مشيرا إلى هؤلاء المغرمين به ، ويوضح أثره السلبى فى غموض المعنى وإبهامه لدى السامع ، ويشبه كثرته فى العمل الأدبى بمن ثقل العروس بأصناف الحلى حتى نالها من ذلك مكروه فى قوله : " وقد تجد فى كلام المتأخرين الآن كلاما حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع إلى ما له اسم فى البديع إلى أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ، ويقول ليبين ، ويخيل إليه أنه إذا جمع بين أقسام البديع فى بيت فلا ضير أن يقع ما عناه فى عمياء ، وان يوقع السامع من طلبه فى خبط عشواء ، وربما طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى ، وأفسده ، كمن ثقل العروس بأصناف الحلى حتى ينالها من ذلك مكروه

(١) انظر الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ، د/ شوقى ضيف ، ص١٩١ ، دار المعارف ، الطبعة التاسعة .

(٢) مفهوم الشعر عند العرب ، د / عبد القادر القط ، ص٥٠ ، ترجمة د/ عبد الحميد القط ، دار المعارف ١٩٨٢م .

فى نفسها (١) .

ويبدو أن هذا الاتجاه ظل سائدا لفترات طويلة بالرغم من التحول الذى حدث فى القصيدة العربية عندما صار البديع هدفا فى ذاته ، ونزل منزلة الزخرف والزينة وراح الشعراء يدبجون به قصائدهم ، ويحرصون عليه فى نظمهم - خصوصا - بعد أن تناوله علماء البلاغة وتوسعوا فى دراسته وتقسيماته ، وبيان أنواعه خلال القرنين السادس والسابع الهجريين(٢) .

وفى هذا السياق - سياق حرص الشعراء على وشى أشعارهم بالبديع ، وانتقاد النقاد لهم يحدثنا ابن خلدون - وهو من أعلام القرن الثامن الهجرى - عن أساتذته الذين أنكروا هذه الصنعة فى الشعر ؛ فمما يرويه عن أحد شيوخه الأندلسيين قوله : " هذه الفنون البديعية إذا وقعت للشاعر أو الكاتب ، فيقبح أن يستكثر منها لأنها من محسنات الكلام ، ومزيناته ، فهى بمثابة الخيلان فى الوجه ، يحسن بالواحد والاثنين منها ، ويقبح بتعدادها "(٣) . كما أنه يشير إلى تلك الشروط التى وضعت فى استعمال هذه الصنعة ؛ منها أن تقع من غير تكلف ولا اكتراث فيما يقصد منها ... ثم يروى عن شيخ آخر من شيوخه وكان من أهل البصر فى اللسان والقريحة فى ذوقه قوله : "إن من أشهى ما تقترحه علىَّ نفسى أن أشاهد فى بعض الأيام من ينتحل فنون هذا البديع فى نظمه أو نثره ، وقد عوقب بأشد العقوبة ، ونودى عليه " فهو يحذر تلاميذه أن يتعاطوا هذه الصنعة فيكلفوا بها(٤) .

إذن فهذه الروايات والأقوال استمرار للتيار الرافض لكثرة البديع والتعويل عليه فى الشعر منذ أن ثار كثير من النقاد فى وجه أبى تمام ، إذ رأوا فى كثرة هذا البديع ما يناقض الطبع ، ويؤدى إلى التكلف .لقد كان للتكلف أو الصنعة صور متباينة ، وألوان مختلفة جاءت كلها نقيضا للطبع الذى رأوا فيه الأساس الذى تنشأ عنه

---

(١) أسرار البلاغة ، ص ٩ .

(٢) انظر على سبيل المثال البديع لأسامة بن منقذ ، وتحرير التحبير لابن أبى الإصبع المصرى ، والإيضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى .

(٣)مقدمة ابن خلدون ، جـ٣ ، ص ١٣٢١ .

(٤)المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٣٢٠ .

شاعرية الشاعر ، وتعبيره الصادق . فهذه القضية تركت تبعات ألقت بظلالها على النقد القديم حينما جنحت إلى ثنائية متقابلة أفضت إلى تقسيم الشعراء إلى مطبوعين ومصنوعين متكلفين ، وبقدر ما أثنوا على المطبوعين من الشعراء توقفوا عند المتكلفين منهم وبينوا مثالبهم، حتى وإن كانوا لا يستخدمون مصطلح التكلف في كثير من الأحيان بمعنى يحط من قدر صاحبه(١) . ويدعو إلى عدم تناول شعره وقراءته ، وإلا كنا قد تركنا أكثر من نصف الشعر العربى ونحيناه جانبا واكتفينا بما نعته النقاد بأنه مطبوع ، ونظرنا إليه على أنه الشعر المثالي ، الذى يجب علينا قراءته والتوقف عنده . وقد رأى أحد النقاد المحدثين أن مقولة الصنعة قد أضرت بالشعر وبلغته ، وحالت دون استكشاف القيم الجمالية لأدوات الشعر وتجليات لغته فى قوله " وهكذا أفضت مقولة الصنعة عند القدماء والمحدثين من النقاد إلى الغض من شأن لغة الشعر وحمل مظاهرها على محمل الزينة والزخرف تارة أو محمل التكلف والخطأ تارة أخرى ، وبذلك وقفت الصنعة حائلا دون استكشاف قيمة هذه المظاهر باعتبارها حركة للغة وتجليا لفاعليتها "(٢) .

ولا شك أن إعادة قراءة ما اتسم بالصنعة فى ضوء مناهج النقد الحديث قد يغير كثيرا من المفاهيم التى استقرت فى الأذهان وتعاقبت على مر الزمان ، دون غمط حق نقادنا الأوائل الذين شقوا الطريق وأناروه للسالكين .

---

(١) انظر مفهوم الشعر عند العرب ، ص ٥٤ .

(٢) حركة اللغة الشعرية ، مقاربة أولى لشعر المحدثين فى العصر العباسى ، سعيد السريحى ، ص ٣٠٤ ، النادى الثقافى . بجدة ، طبعة أولى ١٩٩٩ م .

المصادر والمراجع

١. إحكام صنعة الكلام للكلاعى الأندلسى ، أبـى القاسم محمد بـن عبـد الغفـور ، ت محمـد رضـوان الدايـة ، دار الثقافــة ، بـيروت (د.ت) .

٢. أخبـار أبـى تمـام ، لمحمـد بـن يحيـى الصولـى وبأولـها رسـالة الصولى إلى مزاحم بن فاتك فى تأليف أخبار أبى تمـام ، ت خليل عساكر ، ومحمد عبده عزام ، ونظير الإسلام الهندى ، طبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٣٧م .

٣. أخبار أبى نواس لابن منظور المصرى ، محمـد بـن مكـرم بـن علـى جمـال الديـن ، ت محمـد عبـد الرسـول إبراهيـم ، وغــيره ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ١٩٢٤ م .

٤. أخبار البحترى لمحمد بن يحيى الصولى وبآخرها ذيل الأخبـار مـن روايـــة الصولـــى ، ت د . صـــالح الأشــتر ، دار الأوزاعـــى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، طبعة ثالثة ، ١٩٨٧م .

٥. أسرار البلاغة ، لعبد القاهر الجرجانى ، قراءة وتعليق محمـود محمد شاكر ، مطبعة المدنى القاهرة ، دار المدنى . بجـدة ، طبعـة أولى ١٩٩١م .

٦. الأغانى لأبى الفرج الأصفـهانى ، أجـزاء متفرقـة ، ت إبراهيـم الإبيارى طبعة دار الشعب .

٧. الإيضــاح فـى علـوم البلاغـة للخطيـب القزوينـــى ، ت د/ عبـد القادر حسين ، مكتبة الآداب ، طبعة أولى ١٩٩٦م .

٨. البديع لعبد الله بن المعتز ، ت د / محمـد عبـد المنعـم خفـاجى ، دار الجيل ، ١٩٩٠ م .

٩. البديع فى البديع لأسامة بن منقـذ ، ت عبـد آ . علـى مـهنا ، دار الكتب العلمية بيروت طبعة أولى ١٩٨٧م .

١٠. البيان والتبيين للجاحظ ، أبى عثمان عمـرو بـن بحـر ، ت عبـد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجى ، الطبعة السابعة .

١١. تاريخ النقد الأدبى عند العرب من العصـر الجـاهلى إلـى القـرن الرابع الهجرى ، طه أحمد إبراهيم ، دار الحكمة (د.ت) .

١٢. تحرير التحبير لابن أبى الإصبع المصرى ، ت د / حفنى محمد شرف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٩٥م .
١٣. حركة اللغة الشعرية ، مقاربة أولى لشعر المحدثين فى العصر العباسى سعيد السريحى ، النادى الأدبى الثقافى بجدة ، طبعة أولى ١٩٩٩ م .
١٤. الحيوان للجاحظ ، ت عبد السلام محمد هارون ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ٢٠٠٢ م .
١٥. الخصائص لابن جنى ، أبى الفتح عثمان ، ت محمد على النجار ، المكتبة العلمية عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٧ م .
١٦. الخصومة بين القدماء والمحدثين فى النقد العربى القديم ، تاريخها ، وقضاياها ، د / عثمان موافى ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٤ م .
١٧. دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجانى ، قراءة وتعليق ، محمود محمد شاكر ، مطبعة المدنى بالقاهرة ، دار المدنى بجدة ، طبعة ثالثة ، ١٩٩٢ م .
١٨. ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى ، ت محمد عبده عزام، دار المعارف ، الطبعة الخامسة .
١٩. ديوان لبيد ، ت د/ إحسان عباس مطبعة حكومة الكويت ١٩٨٤م .
٢٠. ذيل الأمالى لأبى على القالى ، دار الجيل ، ودار الآفاق الجديدة بيروت ، ١٩٨٧م .
٢١. سر الفصاحة ، لابن سنان الخفاجى ، ت عبد المتعال الصعيدى، مكتبة صبيح ١٩٦٩ م .
٢٢. شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ، أبى على أحمد بن محمد بن الحسن ، ت أحمد أمين ، وعبد السلام هارون ، دار الجيل بيروت، طبعة أولى ١٩٩١ م .
٢٣. الشعر والشعراء لابن قتيبة ، أبى محمد عبد الله بن مسلم ت أحمد محمد شاكر ، دار الحديث بالقاهرة ١٩٩٦ م .

٢٤. الصناعتين ، الكتابة والشعر ، لأبى هلال العسكرى ، ت على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربى ، الطبعة الثانية .
٢٥. طبقات الشعراء لابن المعتز ، ت عبد الستار أحمد فراج دار المعارف ، الطبعة الرابعة .
٢٦. طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر ، ط دار المدنى ١٩٧٤ م .
٢٧. العمدة لابن رشيق ، ت محمد محى الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، الطبعة الخامسة .
٢٨. الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ، د/ شوقى ضيف ، دار المعارف الطبعة التاسعة .
٢٩. قراءة التراث النقدى ، د/ جابر عصفور ، دار سعاد الصباح ، طبعة أولى ١٩٩٢ م .
٣٠. الكتاب لسيبويه ، ت عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى ١٩٨٨ م .
٣١. المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين بن الأثير ، ت د/ أحمد الحوفى ، ود/ بدوى طبانة ، نهضة مصر للنشر والتوزيع ، (د.ت) .
٣٢. المزهر فى علوم اللغة وأنوعها للسيوطى ، ت محمد أحمد جاد المولى وعلى محمد البجاوى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (د.ت) .
٣٣. المصطلح النقدى فى نقد الشعر (دراسة لغوية ، تاريخية ، نقدية) ، إدريس الناقورى ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس – ليبيا ١٩٨٤ م .
٣٤. مفهوم الشعر عند العرب ، د . عبد القادر القط ، ترجمة د. عبد الحميد القط ، دار المعارف ١٩٨٢م .
٣٥. مقدمة ابن خلدون ، ت د / على عبد الواحد وافى . نهضة مصر للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة .
٣٦. منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجنى ، ت محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، ١٩٦٦ م .

٣٧. الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى للآمدى ، الجزء الأول ، ت السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة .
٣٨. الموشح ، مآخذ العلماء على الشعراء فى عدة أنواع من صناعة الشعر ، للمرزبانى ، ت على محمد البجاوى ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، (د . ت) .
٣٩. نقد الشعر لقدامة بن جعفر . ت كمال مصطفى ، مكتبة الخانجى ، الطبعة الثالثة .
٤٠. النقد العربى وشعر المحدثين فى العصر العباسى (محاولة لقراءة جديدة) د / عبد الحكيم راضى ، دار الشايب للنشر ١٩٩٣م .
٤١. النقد المنهجى عند العرب ، ومنهج البحث فى الأدب واللغة د / محمد مندور ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٦٦ .
٤٢. هبة الأيام فيما يتعلق بأبى تمام للشيخ يوسف البديعى ، نشره محمود مصطفى ، مطبعة العلوم بالسيدة زينب ١٩٣٤م .
٤٣. الوساطة بين المتنبى وخصومه ، للقاضى الجرجانى ، ت محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلى محمد البجاوى ، منشورات المكتبة العصرية - صيدا - بيروت (د . ت) .